

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_191047

UNIVERSAL
LIBRARY

المجنون

بخرمدي

أمثاله وأشعاره

وضعه باللغة الانكليزية

جبران خليل جبران

تعريب

الارشمندريت أنطونينوس بشير

جميع الحقوق محفوظة للمعرب

مطبعة النبال
بمصر سنة ١٩٢٤

المجنون

بجزءي

أمثاله وأشعاره

وضعه باللغة الانكليزية

جبران خليل جبران

تعريب

الارشمندريت أنطونيوس بشير

جميع الحقوق محفوظة للمعرب

مطبعة الخليل

بمصر سنة ١٩٢٤

كيف صرتُ مجنوناً

هذه قصتي الى كل من يودّ أن يعرف
كيف صرتُ مجنوناً : في قديم الايام قبل
ميلاد كثيرين من الآلهة نهضتُ من نومٍ عميق
فوجدتُ ان جميع براقعي قد سُرقتْ ، - البراقع
السبعة التي حكمتُها وتقنعتُ بها في حيواتي السبع
على الأرض . - فركضتُ سافر الوجه في الشوارع
المزدحمة صارخاً بالناس ، « اللصوص ! اللصوص !
اللصوص الملاعين ! » فضحك الرجال والنساء
مني وهربَ بعضهم الى بيوتهم خائفين مذعورين
وعندما بلغت ساحة المدينة اذا بفتى قد
انتصب على أحد السطوح وصرخ قائلاً ، « ان

هذا الرجل مجنون أيها الناس ! « وما رفعتُ
نظري لأراه حتى قبلت الشمس وجهي العاري
لاول مرة . لأول مرة قبلت الشمس وجهي
العاري فالتهمت نفسي بحبة الشمس ولم أعدُ
بحاجة الى براقعي . وكأنما أنا في غيبوبةٍ
صرخت قائلاً ، « مباركون ، مباركون اولئك
الاصوص الذين سرقوا براقعي »

هكذا صرتُ مجنوناً ، ولكنني قد وجدت
بجنوني هذا الحرية والنجاة معاً : حرية الانفراد ،
والنجاة من ان يدركَ الناس كياني ؛ لأن
الذين يدركون كياننا انما يستعبدون بعض ما فينا
ولكن لا أنخرن كثيراً بنجاتي ، فان
الاصص وان كان في غيابة السجن فهو في مأمنٍ
من أقرانه اللصوص

الله

عندما ارتعشت شفّتي بالنطق لأول مرة ،
صعدتُ الى الجبلِ المقدس وناديتُ الله قائلاً ،
« انني عبدك يا ربي ؛ مشيتُك الخفيةُ شريعتي
وسأظلُّ خاضعاً لك سحابةَ الحياة »
فلم يُجبني الله بل مرّاً كعاصفةٍ هوجاءٍ
واختفى عن ناظرِيَّ

وبعد ألف سنةٍ صعدتُ ثانيةً الى الجبلِ
للمقدسِ وخاطبتُ الله قائلاً ، « انا جبلةٌ يديك
يا خالقي ، من ترابِ الأرض صنعتني وبنفحةٍ
من روحك العلويةِ أحييتني . فانا مدينٌ لك
بكلّيتي »

فلم يجبني الله وكأفٍ من الاجنحة
الخاطفة اجتاز بي عابراً

وبعد ألف سنةٍ صعدتُ الى الجبل المقدسِ
أيضاً وناجيتُ الله ثلاثةً قائلاً ، « يا أبتاه
القدوس ، انا ابنك الحبيب . بالرأفة والمحبة
ولدتني وبالمحبة والعبادة سأرتُ ملكوتك »

فلم يجبني الله في هذه المرة أيضاً
وكالضباب الذي يغشي قصيَّ التلال تواري عن
عيبي

وبعد ألف سنةٍ صعدتُ الى الجبل المقدسِ
وخاطبتُ الله رابعةً قائلاً ، « يا إلهي الحكيم
العليم يا كمالِي ومحجَّتِي . انا أمسك وأنت غدي . انا
عروق لك في ظلمات الأرض وأنت أزاهر لي في
أنوار السماوات ونحن ننمو معاً أمام وجه الشمس »

فعطف الله اذ ذاك عليّ وأنحنى فوقى وهمس
في أذنيّ كلمات تذوب رقةً وحلاوة وكما يطوي
البحر جدولاً منحدراً اليه طواني الله في أعماقه
وعندما انحدرتُ الى الاودية والسهول
كان الله هنالك أيضاً

يا صاحبي

يا صاحبي : انني لستُ على ما يبدو لك
مُني ، فما مظاهري سوى رداءٍ دقيقِ الصُّنعِ
مُحوكٍ من خيوطِ التساهلِ والحُسنِ التَّفُّ به
ليدرا عني تطفلك وِيقيك من اهمالي وتغافلي .
وأما ذاتي الخفيةُ الكبرى التي أدعوها أنا فسرٌّ
غامضٌ مكنونٌ في أعماقِ سكونِ نفسي ولا
يدركه أحدٌ سِواي ؛ وهناك سيبقى أبداً غامضاً
مستتراً

يا صاحبي : انني أودّ ان لا تُصدقَ ما أقول
وان لا تثقَ بما أفعل ، لان أقوالي ليست سوى
صدى لافكارك وأفعالي ليست سوى أشباح آمالك

يا صاحبي : عندما تقول لي ، « الريحُ
تهبُّ شرقاً » . أجيبك على الفور قائلاً ،
« بلى ، انها تهبُّ شرقاً » لانني لا أريد ان
يخطر لك أن أفكاري السابحة مع أمواج البحر
لا تستطيع ان تخلق طائرةً على متون الرياح .
أما أنت فقد مزقت الأرياح نسيج أفكارك
القديمة البالية فبتَّ قاصراً عن ادراك أفكاري
العميقة المرفرفة فوق البحار . وحسنٌ انك لم تدرك
كُنْهها لانني أُريدُ أن أمشي على البحر وحدي
يا صاحبي : عندما تبرزغ شمس نهارك تدنو
ظلمة ليلي ، ومع ذلك فاني احدثك من وراء
ستار ظمتي عن أشعة الشمس الذهبية التي ترقص
عند الظهيرة على قنن الجبال ، وعمما تحدته في
رقصها من الاضلال الظليلة المناسبة الى الأودية

والحقول - أحدثك عن كل ذلك لانك
لا تستطيع ان تسمع أناشيد ظمتي ولا ان ترى
خفقان جناحيّ بين الكواكب والنجوم . وما
أحلى انك لا تسمع ولا ترى ذلك لاني أوثر
ان أسامرَ الليل وحدي

يا صاحبي : عندما تصعد الى سماءك اهبط
الى جحيمي . ومع انه تفصلي عنك هوةٌ
لا استطاع عبورها تظل تناديني قائلاً ، « يا رفيقي
يا صاحبي » فاجيبك ، « يا رفيقي ، يا صاحبي »
لاني لا أريد أن ترى جحيمي ، فان لهيبه يُحرق
باصرتيك ودخانه يسدُّ منخريكَ . أما أنا فاني
أضنُّ بجحيمي ان يزوره من كان على شاكلك ؛
لاني أفضل ان اكون في جحيمي وحدي
يا صاحبي : أنت تقول انك تعشق الحق

والفضيلة والجمال ؛ وأنا أقول مقتدياً بك انه
يليق بالانسان ان يعشق مثل هذه المناقب ؛
غير اني أضحك من محبتك في قلبي سائراً
ضحكي عنك ؛ لانني أريد ان أضحك وحدي
يا صاحبي : انك رجلٌ فاضلٌ متيقظٌ
حكيم ؛ بل انك رجلٌ كامل . ولذلك فاني ضناً
بكرامتك اخاطبك بحكمة وتيقظ - ولكنني
مجنونٌ منجذبٌ عن العالم الذي تقطنه أنت الى
عالم غريب بعيد ، واني استر عنك جنوني
لاني أود ان اكون مجنوناً وحدي
انت لست بصاحبي ، يا صاح ! ولكن
كيف السبيل لاقتناعك فتفقّه وتفهم ؟
ان طريقي غير طريقك ولكننا نمشي معاً
جنباً الى جنب

اللعين^(١)

قلتُ مرةً للّمين ، « ألم تسأم نفسك
الاقامة في هذا الحقل وحيداً منفرداً؟ »
فاجابني قائلاً ، « إن لي في التخويف لذة لا
يُسبِرُ غورها ولذا فاني راضٍ عن عملي ولا امله »
ففكرتُ هنيهةً ثم قلتُ له ، « بالصواب
أجبتَ ، فانه قد سبق لي نخبرتُ هذه اللذة
بنفسي »

فاجابني قائلاً ، « انك واممٌ يا هذا ، فان
هذه اللذة لا يعرف طعمها الا من كان محشواً
بالقش مثلي »

(١) هو الشاخص الذي ينصب في هيئة الرجل بين
الزراع لطرده الوحوش

فتركته اذ ذاك وانصرفتُ وأنا لا أدري
هل مدحني ام تنقّصني «
وانتضى عامٌ صار اللّعين في أثنائه فيلسوفًا
علامةً . وعندما مررتُ به ثانيةً رأيتُ غرايين
يدينان عشًا تحت قبّعتَه

بين هجعتي و يقظة

كان في المدينة حينما وُلدتُ امرأة وابنة ،
وكانت لهما عادةٌ ان تمشيا وهما نائمتان
فحدث في احدى ليالي الصيف الهادئة الجميلة
ان نهضت الام وابنتها من نومهما على جاري
حادثهما ومشتا - وهما نائمتان - في حديقتهما
المبرقة بالضباب

وفيما هما ماشيتان قالت الام لابنتها ،
« تَباً لكَ من عدوٍ شريرٍ ! انتِ التي هدمتُ
شبابي وبنّت حياتها على أنقاض حياتي ! آه لو
أستطيع ان اقتلك ! »

فاجابت الابنة وقالت ، « أيتها المرأة

الممقوتة والحيزبون الانانية الرثة ، القائمة بيدي
وبين ذاتي الطليقة ! يا من تودُّ أن تكون حياتي
صدي لحياتها الرثة البالية ! ألا ليتك تهلكين !
وفي تلك اللحظة صاح الديك فافقتنا معاً
من نومهما وهما بعدُ في الحديقة ماشيتان
فقالَت الام بلطف ، « أذاك انتِ يا حمامتي ؟ »
فاجابت الابنة بحلاوة ، « نعم انا ابنتك
يا حنونتي ! »

الكلب الحكيم

مرَّ كلبٌ حكيمٌ ذات يومٍ بجماعةٍ من السنائير . ولما دنا منهم رأهم منصرفين عنه ولم يعبأوا بقدمه . فوقف يتأمل بهم مستغرباً أمرهم وفيما هو يتطلع بهم نهض من بين الجماعة منور بادنٌ تبدو على وجهه أمارتُ الهيبة والوقار ، فنظر الى رفقائه وقال لهم ، « صلوا أيها الاخوة المؤمنون ، فاني الحق أقول لكم انكم اذا صليتم وكررتم صلاتكم بحرارةٍ يُستجاب تضرُّعكم وتمطركم السماء فتراناً في الحال »

فلما سمع الكلب الحكيم تلك العظة البانغة ضحك منهم في قلبه وارعد عنهم وهو يرددُ

لنفسه قوله ، « ما أُغْبِي هؤُلاءِ السنانير وما أعمى
بصائرهم عن ادراك ما في الكتب : أليس مكتوباً ،
بل ألم اقرأ أنا وأجدادي من قبل اخبروني ، أن
ما تمطره السماء اجابةً للصلوات والتضرعات
والابتهالات ليس فتراناً بل عظاماً ؟ »

الناسكان

عاش ناسكان في قنّة جبل عالٍ ، وكانا
دائبين في عبادة الله وحبهما الواحد للآخر
وكان لهُذين الناسكين قصعة من الخبز

لم يكن لهما غيرها مقتنى

ففي أحد الأيام وسوس الخناسُ في قلب
الناسك الكهل فجاء الى رفيقه الشاب وقال له ،
« لقد مضى على حياتنا معاً زمنٌ طويل وقد آن
لنا أن نفرق . ولذا فإني أريد أن نقسم
مقتنياتنا »

فاكتب الناسك الشاب وأجابه قائلاً ،
« ان انفصالك عني يجرح قلبي وحقك يا أخي .

ولكن ان كان ثمت من ضرورة لذهابك
فلتكن مشيئتك »

ثم تناول القصعة الخزفية بيده وقال له ،
« ان هذه القصعة هي كل ما نقتني أيها الأخ
العزير ، ولما كانت قسمتها بيننا مستحيلة فأرى أن
تكون لك وحدك »

فأجابه الناسك الكهل وهو يتميز غيظاً قائلاً ،
« انني لا أطلب منك صدقة ولا أقبل متاعاً ليس
لي ؛ ولذا يجب ان تقسم القصعة فينال كل منا
نصيبه منها »

فقال له الشاب برقة ، « اذا قسمنا القصعة
فأية منفعة ترجى من قسمتها سواء لك أم لي ؟
دعنا ان حسنَ لديك تقترع عليها »

فاجابه الكهل وقال ، « انني لا اريد

سوى حصتي كما تقتضي العدالة بيننا . ولن ارضى
بتةً عن القرعة العمياء التي تحط من قدر العدالة
وتجعلني مقامراً اعرض العدالة وحصتي لصدفة
عمياء - ولذا أطلب قسمة القصعة »

فلم يبق اذ ذاك مجال للشاب ان يبحث
معه في الموضوع ، فقال له ، « اذا كانت
هذه حقيقةً رغبتك أيها الأخ الحبيب ووددت
ان يكون الأمر على ما وصفت فلنقسم
القصعة »

فلسودّ وجهُ الناسك الكهل وصرخ به
قائلاً ، « تبا لك ، ما أجبنك وما أقعدك عن
الخصام أيها الخامل البليد ! »

اطلبوا تجدوا

كان في قديم الزمان انسانٌ وكان له ملٌ
وأدٍ من الإبر

ففي أحد الأيام جاءت اليه أمٌ يسوع
وقالت له ، « يا صاحب ، ان رداء ابني مشقوق
واريد ان أرتقه له قبل ان يذهب الى الهيكل ،
أفلا تقرضني ابرة ؟ »

فلم يُعطها ابرة . غير أنه اعطاها عظة
بالغة كانت عنده ، موضوعها « اطلبوا تجدوا » ،
لكي تأخذها الى ابنها قبل ان يذهب الى
الهيكل

الذوات السبع

في سكون الليل العميق وقد بدأ النعاس
يغالبي جلست ذواتي السبع يتحادثن
فتالت الذات الاولى ، « لقد مرّت
الأيام والأعوام على وجودي في هذا المجنون
وليس لي ما أفعله سوى تجديد آلامه نهائياً
وأحزانه ليلاً . وقد كرهت نفسي القيام بهذه
الوظيفة المملة فلأثورنَّ عليه »

فأجابتها الذات الثانية قائلة ، « انك أوفر
مني حظاً يا أختاهُ ، فقد قدّر لي أن اكون
شريكةً لهذا المجنون في أفراحه وملذاته فأضحك
لضحكه وأترنم في ساعات سروره وبأقدام مثلكة

الأجنحة أرقص لأفكاره البرّاقة ؛ فان تكن
ثورة ، فمن أحقُّ بها مني ؟ »

فقال ذات الثالثة ، « أواه أيتها
الرفيقتان ، إن عملي أدعى الى الثورة من عمليكما .
فأنا الذات المريضة جداً المتلهبة شوقاً الهائلة
حينئذ ! ألا ان الثورة على هذا المجنون من
شأني وأنا ذات الشتاء والأسي »

فقال الرابعة ، « انني أكثر منكن شقاء
أيتها الرفيقات فقد قدر لي أن أثير كوامن
البنغض وأوقظ نيران الكره والحق في قلب
هذا المجنون ، فأنا ، الذات الثائرة الهوجاء المولودة
في كهوف الجحيم السوداء ، أحق منكن بالثورة
على مهوتي »

وقالت الذات الخامسة ، « انني أغبطكن »

جميعاً أيتها الأخوات بما قُدر لـكنَّ من العمل
السعيد ، فقد آثر الدهر أن أجدد أحلامَ هذا
المجنون التي لا تنتهي ، وأهيج جوعه وعطشه
الذين لا يسكنان ، هائمةً به على وجهي في فضاء
اللانهاية من غير أن أتذوق طعم الراحة ، ناشدةً
ما لم يُعرف قط وما لم يُخلق بمد ؛ فأنا - أنا
أولى منكنَّ بالثورة والعصيان »

فقات الذات السادسة ، « ما أسعدكن
أيتها الأخوات وما أتمسني وأشقتاني ! فأنا
الذات المشتغلة العاملة الحقيرة التي يبيدها
الدائبتين وعينيها الساهرتين ترسمُ من أيامها
صوراً وتمنح العناصر الدنيئة العادمة الشكل أشكالاً
جميلة خالدة - ألا انه اجدر بي أنا الذات
المعتزلة الهادئة أن أنقم وأثور »

فتطلعت الذات السابعة في كلِّ منهنَّ
وقالت ، « أفٍ منكنَّ جميعاً ! ما أغرب ثورتكنَّ
على هذا الرجل المسكين بحجة ان لكل منكنَّ
عملاً محدوداً . حبذا لو اسعدتني الايام بعمل
محدود كاعمالكنَّ ، فأنا ذاتُ بطالة لا عمل لها
اجلس أبداً بين اللانهايتين - الصمت والظلام -
في حين ان كل واحدة منكنَّ دائبة في تجديد
الحياة على تنوع مظاهرها . بربكن قلن لي آيتها
الشقيقات من منا أحق بالثورة انتن أم انا ؟ »
ولما فرغت الذات السابعة من كلامها نظرت
اليها الذوات الست بشفقة وحنان ولم يحرنَ
جواباً

وُجُنَّ الليل فرقدنَ وفي طيات صدورهنَّ
استسلام جديد وخضوع سعيد كل لما قُسمَ

لها من الواجب المحدود!
أما الذات السابعة فظلت شاخصة تُراقب
اللاشيء الذي وراء كل شيء

الحرب

وكان عرسٌ في قصر الأمير في إحدى الليالي ، وكان المدعوون يدخلون ويخرجون . فدخل رجلٌ مع الداخلين وحي الأمير باحترام ووقار . فنظر إليه الجميع بدهشةٍ لأن إحدى عينيه كانت مفقورةً والدم ينزف من نُقرتها الفارغة

فسألهُ الأمير قائلاً ، « ما دهاكِ يا صاح ؟ » فاجابه الرجل قائلاً ، « انا لصٌ أيها الأمير ، وقد اغتنمت فرصة في ظلمة هذه الليلة على جاري عادي وذهبت لاسرق اموال أحد الصيارفة . وفيما انا أتسلق الجدار لأدخل دكان الصيرفي

ضللتُ سبيلي ودخلتُ من نافذة جاره الخائنك .
فعدوت طالباً الهرب وانا لا أبصر شيئاً لشدة
الظلام فاطم نولُ الخائنك عيني وقرها . ولذلك قد
أتيتك الآن ملتمساً أن تنصفي من الخائنك «
فأرسل الأمير واستدعى الخائنك . فأحضر
الخائنك في الحال . فأمر الأمير أن تطلع عينه
فقال له الخائنك ، « بالصواب حكمت ايها
الأمير ، فان العدالة تقضي بقطع عيني . ولكنه
غير خاف على سموك انني أحتاج في حرفتي الى
عينين لكي أرى حاشيتي الشقة التي انسجها .
غير ان لي جاراً اسكافاً له عينان مثلي ولكنه
لا يحتاج في مهنته الا الى عين واحدة . فاستدعني
ان أردت واقنع احدي عينيه للمحافظة على
الشرية »

فارسل الامير في الحال واستدعى الاسكاف ،
فخسر واقتلعت عينه
وهكذا تأيدت العدالة !

الثعلب

خرج الثعلبُ من مأواه عند شروق
الشمس . فتطلع الى ظله منذهلاً وقال ،
« سأُتعدّي اليوم جملاً ! » ثم مضى في سبيله
يفتش عن الجمال الصباح كله . وعند الظهيرة
تفرسَ في ظله ثانيةً وقال مندهشاً ، « بلى ،
ان فارةً واحدة تكفيني »

الملك الحكيم

كان في احدى المدن النائبة ملكاً جباراً
حكيم ، وكان مخوفاً لجبروته محبوباً لحكمته
وكان في وسط تلك المدينة بئر ماءً نقياً
عذب يشرب منه جميع سكان المدينة من الملك
واعوانه فنادون لأنه لم يكن في المدينة بئر سواه
وفيما الناس نياماً في احدى الليالي جاءت
ساحرة الى المدينة خلسةً والقت في البئر سبع
نقطٍ من سائل غريب وقالت ، «كل من يشرب
من هذا الماء فيما بعد يصير مجنوناً»
وفي الصباح التالي شرب كل سكان المدينة
من ماء البئر وجنّوا على نحو ما قالت الساحرة .

ولكن الملك والوزير لم يشربا من ذلك الماء
وعندما بلغ الخبر آذان المدينة طاف سكانها من
حيّ الى حيّ ومن زقاق الى زقاق وهم يتسارّون
قائلين ، « قد جُنّ ملكنا ووزيره . ان ملكنا
ووزيره قد اضاعا رشدهما . اننا نأبى ان يملك علينا
ملك مجنونٌ . هيا بنا نخلعه عن عرشه ! »

وفي ذلك المساء سمع الملك بما جرى فأمر
على الفور بأن يملأ حق ذهبي (كان قد ورثه
عن اجداده) من مياه البئر . فملأوه في الحال
واحضروه اليه . فاخذ الملك بيده واداره الى
فه . وبعد ان ارتوى من مائه دفعه الى وزيره
فأتى الوزير على ثمّالته

فعرف سكان المدينة بذلك وفرحوا فرحاً عظيماً
جداً لان ملكهم ووزيره ثابا الى رشدهما

الطهوح

جلس ثلاثة رجالٍ الى خوانٍ في حانة .
وكان الاولُ حائكاً والثاني نجاراً والثالث حفار قبور
فقال الحائك لرفيقه ، « قد بعثُ اليوم
كفناً بديعاً من الكتان بدينارين فلنشرب
ما طاب لنا من الخمر »

فاجابه النجار وقال ، « أما أنا فقد بعثُ
أُمن نعيشٍ عندي . فلنأكل أنخر اللحم مع الخمر »
فقال لهما حفار القبور ، « اني لم أحفر
اليوم سوى قبر واحد ، ايها الصديقان ، ولكن
الذي استأجرني دفع لي الاجر مضاعفاً . فلنستحلِ
بقليل من العسل »

فخلت الخمارة بهم في تلك الليلة لانهم
طلبوا الخمر واللحم والعسل مراراً وكانوا يرقصون
طرباً

اما صاحب الحانة فكان يتلفت بين آونة
واخرى الى زوجته متبسماً وهو لا يكاد يصدق
ما يراه بعينه . لان ضيوفه الثلاثة كانوا ينفقون
المال من غير حساب

وظلّ الاصحاب في الحانة الى ساعة متأخرة
من الليل يأكلون ويشربون . وبعد ان امتلأوا
من كل شيء انصرفوا وهم يغنون ويضحون
وكان صاحب الحانة وزوجته واقفين بباب

حائهما يشيخان ضيوفهما بانظارهما
فقالت المرأة لزوجها ، « حبذا لو يُسعدنا
الحظ في كل يومٍ بمثل هؤلاء الزبائن الكرماء

الشرفاء فاننا نتمكن وقتئذ من إعفاء ابننا الوحيد
من خدمة هذه الحانة القذرة ونستطيع تعليمه ليصير
في المستقبل قسيساً

اللذة الجديدة

اخترعتُ في ليلتي الماضية لذةً جديدةً
و بينما كنت اتمتع بها للمرة الاولى رأيتُ
ملاكاً وشيطاناً قد وقفا بياني يتخاصمان ويتناقشان
على تعريف لذتي
فكان الأول يصرخ با-لى صوته قائلاً ،
« انها خاطئة مميتة »
فيعترضه الثاني قائلاً بصوت اشدّ من
صوته ، « لا لعمرى انها فضيلة »

اللغة الأخرى

حدث انه بعد ميلادي بثلاثة أيام كنتُ
متكثماً في مهدي الحريري اتفرس بلهفة غريبة
في العالم الجديد حواليّ

فقلت امي للمرضع ، « كيف حال ولدي
اليوم؟ » فاجابتها قائلةً ، « هو بخير ياسيديتي ،
فقد اطعمته ثلاث مرات : ولم أرَ قطُّ قبله طفلاً
بشوشاً مثله »

فاسمعتُ ذلك حتى ثار نائر غضبي وصرختُ
قائلاً ، « لا تصدقي ، لا تصدقي ذلك يا أماء ؛
فان فراشي خشن الملمس والحليب الذي رضعته
مرّ المذاق ورائحة الثدي كريهة في أنفي فياشد»

ما بي من تعاسة »

فلم تفهم امي لغتي وكذلك الموضع لم تفقه
ما قلتهُ لانني خاطبتهما بلغة العالم الذي أتيتُ منه
وفي اليوم الحادي والعشرين لولادتي ، وهو
اليوم الذي تعمدت فيه ، قال الكاهنُ لأمي ،
« انني اهنتك ياسيدي لان ابنك وُلدَ مسيحياً »
فقلتُ للكاهن مندهشاً ، « اذا كان الامر
كما تقول فأحرِ بأمك التي في السماء ان تكون
تعسة بك لانك لم تولدُ بعدُ مسيحياً »

فلم يفهم الكاهن ما قلته لهُ بلغتي
وبعد سبعة أقرار جاءنا عرافٌ فتنفس في
وجهي ملياً وقال لأمي ، « ان ابنك هذا
سيكون زعيماً داهيةً وسيتبعه الناس طائعين »
فصرختُ بأعلى صوتي قائلاً ، « تلك نبوءةُ

كاذبة فانا أدري بنفسي واعلم يقيناً انني سأدرس
الموسيقى والغناء ولن اكون الاً موسيقياً «
ولشدّ مادّهشت اذ لم يفهم أحدٌ لغتي
مع انني كنتُ قد بلغت ذلك الحدّ من عمري
ولقد مرّ على ذلك ثلاثٌ وثلاثون سنةً
وقد ماتت امي والمرضع والكاهن (ظلل الله
ارواحهم برحمته) . اما العراف فلا يزال حياً
يرزق . وقد رأيتُه في الامس أمام الهيكل
فحدثته وحدثني واطلعتُه على انخراطي في سلك
ابناء الموسيقى فقال لي ، « قد طالما وثقتُ بانك
ستكون موسيقياً كبيراً ولقد سبقتُ في ايام
طفولتك فانبأتُ امك بمستقبلك هذا »
فصدقتُ قوله لاني انا نفسي نسيتُ لغة
العالم الذي أتيتُ منه

الرَّمانَة

عشتُ مرةً في قلب رمانة . وبينما انا جالس
يوماً في خليتي سمعتُ حبةً تقول ، « سأصير
في المستقبل شجرةً متعاليةً تترنم الريح بانحنائها
وترقص الشمس على أوراقها وسأكون قويةً جميلةً
على ممرِّ الفصول »

فاجابت حبةً ثانيةً وقالت ، « ما أجهلك
أيها الرفيعة ! فاني حين كنتُ صغيرةً مثلك
حلمت احلامك . ولكنني بعد ان صرتُ قادرةً
على تحديد كل شيء بمقياس ومعيار ادركت ان
جميع آمالي كانت باطلة »

ثم قالت حبةً ثالثةً ، « أما انا فاني لا أرى

فينا ما ينبغي؛ بمثل هذا المستقبل العظيم «
 فاجابت حبةً رابعةً وقالت ، « اذا لم ترم
 حياتنا الى مستقبل انبل وأبهى فباطلةٌ هي «
 فوقفت اذ ذاك حبة خامسة وقالت ، « ما بالنا
 نتجادل فيما سيؤول اليه أمرنا في المستقبل في
 حين اننا لا نعرف ما نحن عليه اليوم ؟ »
 فقالت حبة سادسة ، « اننا سنظل أبداً
 على ما نحن عليه الآن «
 فاجابتها حبة سابعة قائلة ، « ان في ذهني
 صورةً واضحة للمستقبل ولكنني لا أستطيع أن
 أرسمها بالالفاظ «
 ثم تكلمت حبة ثامنة وتسعة وعاشرة
 وحبوب كثيرة حتى تكلم الجميع فلم أفهم شيئاً
 لوفرة الاصوات وبلبلتها

فتركت الرمانة في ذلك اليوم وأُتيت فسكنت
في سفرجلة حيث لا يوجد الا قليل من الجيوب
تعيش بصمتٍ وسكون

القفصان

كان في حديقة ابي قفصان
وكان في أحدهما أسدٌ احضره عبيد أبي
من براري نينوى وفي الثاني زرزورٌ غرَّيدٌ
لا يعلُّ الانشاد
وكان الزرزور يأتي في كل فجرٍ الى الأسد
فيحييه قائلاً له ، « عم صباحاً يا أخي السجين »

النملات الثلاث

اجتمع ثلاث نملات على أنف رجل كان
نائماً في الشمس . فحيت كل منهنّ الاخرى بتحيةة
قبيلتها . ثم وقفنّ هنالك يتحدثنّ

فقالت النملة الاولى ، « ان هذه التلال
والسهول التي نحن عليها اليوم هي أقفرُ جهة
وطائها في حياتي على الارض ؛ فقد طفتُ
النهار بطوله اقتش عن حبة من أي نوع كان
فلم أظفر بشيء »

فاجابت النملة الثانية وقالت ، « قد طالما
سمعتُ أبناء قبيلتي يتحدثون عن مكان يطلقون
عليه اسم الارض الملساء الجرداء وما اكثر ما لهم

في دورانها وحركتها من الآراء . وانه ليلوح لي اننا
نسير اليوم عليها لانني جلتُ في جميع منعرجاتها
وعطفاتها وخبرت بنفسي حقيقتها »

فرفعت النملة الثالثة رأسها وقالت ، « ايتها
الصديقتان ، نحنُ الآن واقفون على انف النملة
العظمى - النملة الجبارة اللامتناهية ، التي تعاضم
جسمها حتى عجزت عن رؤيته عيوننا واتسع
ظلمها حتى قصرت عن استقصائه مقاييسنا وارتفع
صوتها حتى كَلَّت عن سماعه آذاننا . هذه هي
النملة الازلية المائئة الارزاء بلانهايتها »

وعندما فرغت النملة الثالثة من كلامها نظرت
كلُّ من رفيقتيها الى الاخرى وضحكتا من حديثها
وفي تلك اللحظة تحرك الرجل في رقدته ورفع يدهُ
وحكَّ انفه فانسحقت النملات الثلاث تحمت اصابعه

حفار القبور

بينما كنت يوماً ادفنُ ذاتاً من ذواتي
الميتة اذ وقف بي حفار القبور وقال لي :
« انت هو الرجل الفرد الذي وقع بقلبي
دون جميع الذين يأتون الى هذه المقبرة »
فقلت له ، « لقد سرّني قولك يا صاح ،
ولكن لماذا وقعتُ بقلبك دون سواي من
الناس ؟ »

فاجابني قائلاً ، « ان سواك يأتي باكياً
ويعود باكياً - أما انت فانك تبجي ضاحكاً
وترجع ضاحكاً »

على درجات الهيكل

رأيتُ في مساء الأُمس امرأة جالسة على
درجات الهيكل
وكان جالساً معها رجلان واحدٌ عن يمينها
والآخر عن يسارها ينظران إليها
وقد لاحظت متعجباً أن وجنتها اليمينية كانت
شاحبة وان وجنتها اليسرى كانت موردة

المدينة المباركة

خَبَّرْتُ في حدائتي عن مدينة كان جميع الناس يعيشون فيها وفق تعاليم الكتاب فقلت لنفسي ،
« لَأَسْمِيَنَّ الى تلك المدينة سعياً واحظى بما فيها
من البركة العليا »

وكانت المدينة بعيدة فاعدت للسفر كامل
العدة . وبعد مسير اربعين يوماً اشرفت عليها .
وفي اليوم التالي دخلتُ اليها فاذا كل سكانها أعور
أقطع . فأخذتني الحيرة وقلت لنفسي ، « وهل على
كل من يعيش في هذه المدينة المقدسة ان يكون
أعور أقطع ؟ »

ثم لحظت أن القوم كانوا ينظرون اليّ بدهشة

اعظم من دهشتي . لانهم هم أيضاً كانوا متعجبين
من عينيَّ وَيَدَيَّ

وفيما هم يتحدثون سألتهم قائلاً ، « هل
هذه هي المدينة المقدسة حيث يعيش كل انسان
وفق تعاليم الكتاب ؟ »

فقالوا ، « نعم هذه هي المدينة ؟ »

فقلت لهم ، « وماذا حلَّ بكم ؟ اين عيونكم
اليمنى وأيديكم اليمنى ؟ »

فرئى الشعبُ لحاتي وأشفقوا على جهالتي
وقالوا لي ، « تعال وانظر »

ثم قادني واحدٌ من متقدميهم الى داخل
الهيكل القائم في وسط المدينة

وعندما دخلت الهيكل رأيتُ في الصدر
راية من العيون والأيدي الذابلة فقلت لهم ،

والدهش أخذ بي كل مأخذ ، « بربكم قولوا
لي أيُّ غازٍ سفاحٍ أغار عليكم فيكم بقطع ايديكم
وقلع عيونكم ؟ »

فأنَّ الجميعُ بمرارة متعجبين من جهلي ودنا
مني أحدهُ شيوخهم وقال لي ، « يا ابني ، انما نحن
الذين فعلنا ذلك بأنفسنا لأن الله سلطنا على الشر
الذي كان حالاً بنا فاستأصلنا جرثومتَهُ ؟ » ثم
قادني الى مذبحٍ حالٍ وجميعُ الشعبِ يتبعنا وهناك
أشار بأصبعه الى نِبةٍ محفورة فوق المذبح وطلب
اليَّ ان اقرأها فقرأت :

« اذا كانت عينك اليميني تشكِّكك فاقلمها
وألقها عنك خيراً لك أن يهلك أحدُ أعضائك
ولا يُلقي جسدك كله في جهنم . واذا شكَّكتك
يدك اليميني فاتطمعها وألقها عنك لانه خيرٌ لك

أن يهلك أحدُ أعضائك ولا يُلقى جسدك كله

في جهنم»

فادركتُ إذ ذاك سرَّهم والتفتُ بهم صارخاً ،

« أليس بينكم رجلٌ أو امرأةٌ بعينين أو يدين؟ »

فأجابوا قائلين ، « كلا ! ليس بيننا أحدٌ سوى

الصغار الذين لم يبلغوا بعدُ رُشدهم ليقرأوا

الكتاب ويعملوا بوصاياها »

وعندما خرجنا من الهيكل اسرعتُ فغادرتُ

تلك المدينة المباركة لأنني كنتُ بالغاً رُشدي

وقادراً على قراءة الكتاب

الاله الصالح والاله الشرير

اجتمع الاله الصالح مرةً بالاله الشرير على
قنّة جبل . فقال الاله الصالح للشرير ، « عمّ صباحاً
يا أخي »

فلم ينبس الاله الشرير بينت شفة . فقال له
الاله الصالح ، « يلوح لي ايها الزميل ان مزاجك
متعكّر اليوم »

فاجاب الاله الشرير قائلاً ، « نعم انا مستاء
جداً لان القوم في هذه المدة الاخيرة صاروا
لا يميزون بيني وبينك ، وكثيراً ما اسمعهم
ينادونني باسمك ولا اكره على نقسي منك
ومن اسمك ! »

فقال له الاله الصالح ، « ان هذا هو
ما يحدث لي ايضاً في كل يوم ايها العزيز فان
كثيرين من الناس ينادونني باسمك ويحسبونني
اياك »

فمضى الاله الشرير في سبيله وهو يحرق
الازم في قلبه لاعناً حماقة الانسان وجهله

في خيبتى غلبتى

يا خيبتى ، يا خيبة ! يا وحدتى وانفرادى .
انك لأعزُّ لى من الف انتصار ، وأحلى
على قلبى من كل امجاد الاقطار
يا خيبتى ، يا خيبة ،

يا معرفتى لى لى واحتمارى لذاتى ، بكِ
اعرف انى لا ازال فتياً سريع الخلى ، فلا
تُغرينى أكاليلُ الغار الذابله الفانىة . بكِ قد
حظيتُ بوحدتى وانفرادى وتذوّتُ لذة فرارى
واحتمارى

يا خيبتى ، يا خيبة ،
يا سىفى البتار وترسى البراق ، قد قرأت

في عينيكِ :

أَنَّ الانسان متى جلس على عرش الملك فقد
صار عبداً ،

ومتى ادرك الناس اعماق روحهِ فقد طوي
كتاب حياته ،

ومتى بَلَغَ أوجَ كماله فقد قضى نجبهُ ؛

بل هو كالثمرة اذا نضجت سَقَطَتْ واندرت
يا خبيثي ، يا خيبة ؛ يارفيقي الباسل الودود .
انتِ وحدك تسمعين انشادي وصرaxي وسكوتي ،
وليس غيرك بمحدثي عن خفقان الاجنحة وهدير
البحار ، وعن قذائف البراكين الثائرة في دوامس
الليالي

انتِ وحدك تتسلقين صخور نفسي الجمودية
الشائخة

يا خييتي ، يا خيبة ! يا شجاعي التي لا تموت
انت تضحكين معي في العاصفة ، وتحفرين
معي قبوراً لما يموت مني ومنك ، وتقفين معي
أمام وجه الشمس بجلدٍ وثبات ، فنكون
معاً هائلين مُرَعَبِينَ

الليل والمجنون

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل قائمٌ حارٍ ،
أمشي على طريقِ نارِيّ يمتدُّ فوق أحلامِ
نهاري . وحيثما تمشُّ رجلي الارض فهناك تنبثق
سنديانة جبارة »

الليل : « كلا ، لست مثلي أيها المجنون .
فانك ما زلت تتلفَّت الى ورائك لتري آثار
قدميك على الرمال »

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل صامتٌ
وعميق ؛ وفي قلب وحدتي تكفي الالهة
تتمنح بمولود علوي تأتلفُ بكيانه الجنةُ
والجحيم »

الليل : « كلا ، لست مثلي أيها المجنون .
فانك لا تزال ترتعش أمام الآلام فيهولك سماعُ
أناشيد الهاوية »

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل ، آبدُ
جبَّار ، فان أذُنِيَّ مُثَقَلَتان بنحيب الامم
المستعبدة والتحسُّر على الممالك المهجورة »

الليل : « كلا ، لستَ مثلي أيها المجنون ،
لاناك لا تزال تتخذُ ذاتك الصغرى رقيقاً
وفياً ، ولا تستطيع أن تتخذ لك من ذاتك
الجبارة صديقاً »

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل صارمٌ
وفظيع ؛ فان قلبي لا يطرب الا لرؤية لهيب
المراكب المحترقة في البحار وشفتي لا تستلذان

سوى دماء الابطال المصروعين في ساحات
الوغى»

الليل : « كلا لست مثلي ايها المجنون ،
لأن بك شوقاً الى أخت روحك منسلطاً
عليك يُسيّرُك كيف شاء . ولم تصرْ بعدُ
شريعةً لنفسك »

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل ، جَدِلْ
وطروب ، فان الرجل الذي يرافقني سكران
ابداً من الحمرة العذراء ، والمرأة التي تصادقني
ترتكب الاثم وهي منشرحة الصدر »

الليل : « كلاً لست مثلي أيها المجنون .
لأن روحك مُقنَّمة بقناع ذي طياتٍ سبع
وأنت للآن لم تحمل قلبك على كفك »
المجنون : « أنا مثلك أيها الليل ، صبورٌ

وكثيب ، فان في صدري ألوفاً من قبور المحبين
الذين ماتوا مخلصين فحنطتهم الدموع وكفنتهم
القبلات الذابلة »

الليل : « وهل أنت مثلي ؟ أحقاً أنتَ
مثلي أيها المجنون ؟ وهل تستطيع أن تمتطي
العاصفة جواداً وتمتشق البرق حُساماً ؟ »

المجنون : « أنا مثلك أيها الليل ، انا مثلك
قديرٌ عظيم ، وقد بنيتُ عرشي على آكامِ الالهة
الساقطة وجعلتُ الأيام تمر امامي صاغرة تقبل
اهدابَ ثوبي من غير ان تجراً على التطلع
في وجهي »

الليل : « هل أنت مثلي يا ابن قلبي الدامس
المدلم ؟ هل أنت مثلي ؟ وهل تخطر لك
افكارى الجاحمة ام تتكلم لغتي الواسعة البيان ؟ »

المجنون « بلي ، اننا اخوان توأمان أيها
الليل ، فأنت تكشف مكنونات اللانهاية وانا
اكشف مكنونات نفسي »

الوجوه

رأيت وجهاً يظهر بألف . ظهر ، ووجهاً
مظهره واحدٌ ابداً كأنما قد سبك في قالب .
ورأيتُ وجهاً قدرتُ أن اقرأ تحت طلاوته
الظاهرة بشاعتهُ المستترة ووجهاً ما رأيتُ روعة
جماله المحتجب حتى رفعتُ قناعهُ الظاهر
ورأيتُ وجهاً شيئاً قد تجعد ولكن على
لا شيء . ووجهاً ناعماً قد ارتسمت على ملامحه
جميع الاشياء .
أنا اعرف الوجوه لانني انظر اليها من
خلال ما ينسجهُ بصري فأرى الحقيقة التي
وراءها يباصرتي

البحر الاعظم

ذهبتُ ونفسي الى البحر العظيم لنستحم
بمائه . وعندما وصلنا الى الساحل طفنا نبحت
عن مكانٍ مستورٍ عن الانظار
وفيما نحن نمشي رأينا رجلاً جالساً على
صخرةٍ غبراءٍ وفي يده كيسٌ يأخذ منه حفنات
من الملح ويرمي بها الى البحر
فقلت لي نفسي، « هوذا المتشائمُ الذي
لا يرى من الحياة سوى ظلها . فلنترك هذا
المكان لأننا لا نستطيع ان نستحمَّ أمامه »
فتركنا ذلك المكان وسرنا الى ان بلغنا
جَوْناً في الشاطئ، فاذا برجل واقف على صخرة

بيضاء وفي يده صندوقة مرصعة بالجواهر يتناول
منها قطعاً من السكر ويرمي بها الى البحر
فقال لي نفسي ، « هوذا المتفائل الذي
يستبشر بما لا بشر فيه . فيجب ان لا يرى
جسدنا العارين »

فتابعنا مسيرنا الى ان بلغنا الى شاطئ
قريب فرأينا رجلاً يلتقط اسماكاً ميتة ويميدها
الى الماء بطفٍ وحنان
فقال نفسي ، « هوذا الانساني الشفيق
الذي يحاول ارجاع الحياة لمن في القبور .
فلنبتعد عنه »

فعبرنا به وسرنا الى موضع آخر فرأينا
رجلاً يخطط ظله على المياه فتجبي الامواج
وتحمو خطوطه ثم يعود فيخطه مرة بعد مرة

فقال لي نفسي ، « هذا هو المتصوّف الذي
يُقيم من أوهامه صنماً يعبده فلنتركه »
فخلفناه وراءنا وسرنا الى جونٍ صغير في مكان
آخر فرأينا رجلاً يكشط الزبد عن سطح الماء
ويضعه في كأس من العقيق

فقال لي نفسي ، « هو ذا الخيالي الذي يحوك
من خيوط العناكب رداءً يلبسه وهو لا يستحق
أن يرى جسدنا العارين »
ثم سرنا قليلاً فسمعنا بفتة صوتاً يقول ،
« هذا هو البحر ! هذا هو البحر العميق ! هذا هو
البحر الواسع الجبار ! » فسينا الى حيثُ خرجَ
الصوت فاذا برجلٍ قد ولى ظهره شطر البحر ووضع
على أذنيه صدفةً كالقرن وقعد يُصغي الى ما تُرجعه
من الصدى

فقالَت نفسي ، « سرّ بنا فهذا هو الدهري
الذي ينصرف عن الكليات التي تتجاوز فهمه الى
الجزئيات التافهة التي لا طائل تحتها »

فخلفناه ورائنا وانطلقنا الى موضع آخر .
فاذا برجل منحني بين الصخور وقد غمّر رأسه
بالرمل فقلتُ لنفسي ، « هلمي يا نفس لنستحم
ههنا لأن هذا الرجل لا يستطيع ان يبصرنا »
فهزّت نفسي رأسها وقالت ، « كلا وألف
كلا ! فان هذا الذي تراه هو شرُّ خلقِ الله ،
هو الرافضي الخبيث الذي يحجب نفسه عن
مأساة الحياة فتحجب الحياة أفراسها عن قلبه »
فبدتْ اذ ذاك على وجه نفسي اماراتُ
الحزن والأسى وبصوت تقطعه المرارة قالت ،
« هلمّ بنا ننصرف من هذه الشواطئ لانه

ليس فيها مكان خفي آمن نستحجم فيه . فلن
ارضى أن تعبت هذه الريح بشعري الذهبي
ولا ان يكشف هذا الهواء عن صدري الناصع ،
ولا ان يظهر هذا النور عربي المقدس «
حينئذ تركنا ذلك البحر ناشدين البحر
الأعظم

المصلوب

صرختُ بالناس قائلاً ، « أودُّ لو تصلبوني »
فقالوا ، « ولماذا يكون دمك على رؤوسنا ؟ »
فقلتُ لهم ، « وكيف تفاخرون بانفسكم
ان لم تصلبوا المجانين ؟ »

فقبلوا قولي وصلبوني . وهدأ الصلبُ ثورة
نفسي . وعندما كنت معلقاً بين الارض والسماء
رفعوا رؤوسهم وحدقوا بي وهم يتمايلون
عجباً لان رؤوسهم لم ترتفع قبلُ الى ما فوق
أقدامهم

وفيما هم مجتمعون حول الصليب رفع واخذ
منهم صوته وقال لي ، « عن أيِّ ذنبِ

تُكْفَرُ يَا هَذَا ؟ »

ثم قال آخر ، « بربك قل لنا ما الذي دعاك
الى التضحية بنفسك ؟ »

وتلاهُ ثالث فسألني قائلاً ، « أو تظنّ
أيها الجاهل انك تشتري مجد العالم بهذا الثمن
البخس الذي تقدمه ؟ »

ثم قال رابع ، « تأملوا ابتسامته الخرساء
كأن لم يحلّ به شيء ! وهل في استطاعة بشريّ
أن يتسم لمثل هذا الألم ؟ »

فالتفتُ بهم اذذاك وقلتُ لهم ، « اذكروا
ابتسامتي هذه ولا تذكروا شيئاً غيرها . فأنا
لا أكفر عن ذنب ولا أسمى الى تضحية ولا
أرغب في مجد وليس لي ما أصفح عنه . ولكنني
قد عطشتُ فسألتكم دمي شراباً . وهل من

شرابٍ يبردُ غلةَ المجنون سوى دمه ؟ أَجَل !
وكنْتُ أبكم فسألتكم الجراحَ افواهاً وكنْتُ
سجيناً في ظلمةِ أيامكم ولياليكم فالتمستُ سبيلاً
يؤدي بي إلى أيامِ أبى من أيامكم وليالي أسعد
من لياليكم

« وها أنا ذا ماضٍ الآن إلى حيث مضى
كثيرون ممن نُصِّبوا قبلي . ولكن لا يخطرُ
لكم اننا معاشر المصلوبين نعبأ بصلبكم لأننا قد
قُدِّر لنا أن نُصلب من جبابرةِ اشدِّ منكم قدرةً
وبطشاً بين الارضين الدنيا والسموات العليا »

الفلكي

رأيتُ وصديقًا لي أعمى جالسًا في ظلال
الهيكُل وحدَه . فتال لي صديقي ، « هوذا
أحكم رجل في قومنا »

فتركتُ إذ ذاك صديقي ودنوتُ من الأعمى
فحيثه وقعدتُ بجانبه اجاذبهُ اطراف الحديث .
وبعد هنيهة سألته قائلاً ، « منذُكم أنت أعمى
يا سيدي ؟ »

فاجابني وقال ، « منذ ولادتي يا بُيِّ »
فقلت له ، « وأيِّ مذهب من مذاهب
الحكمة تتبع ؟ »

فاجاب قائلاً ، « انا فلكي منجم »

ثم وضع يدهُ على صدره وزاد قائلاً ،
« انني ارصد هذه الشمس وهذه الاقمار وهذه
النجوم »

الحنينُ الأعظم

ها أنا ذا جالسٌ بين أخي الجبل وأختي
البحر ، ونحن الثلاثة واحدٌ في عزلتنا تربطنا
حبةٌ عميقةٌ قويةٌ غريبةٌ

حبةٌ أعمق من أعماق أختي وأقوى من قوة
أخي وأغرب من غرائب جنوبي

وكم هنالك من دهورٍ تقضت قبل أن بددَ
الفجرُ الأول دياجيرَ الظلمةِ عنا فرأى احدنا
إخاه

قد شاهدنا ولادة كثير من العوالم واكتماها
وانحلالها ؛ بيد اننا بعد احداثٍ تواقون
أجل ، نحن احداثٌ تواقون ولكننا

وحيدون مهملون

تسكيء متعاقين عناقا ابديا ولكننا غير
مستريحين . وهل من راحة لشوقٍ مستعبد وشهوة
لا تنفذ ؟

أين اله النار المتلهب فيديء مضجع
أختي ؟

بل اين الهة الغيث الفياضة فتخدم براكين
أخي ؟

وانا اشقى الاثنين . من اين لي المرأة التي
تتسلط على قلبي ؟

في سكينه الليل ترددُ اختي في أحلامها
اسمَ اله النار المجهول لتدفقتها

وينادي اخي الالهة الغيث القصية لتبريد
غلته . أما أنا فمن تُرى انادي في غفلي ؟

لست والله أدري ! لست والله أدري !
ها أنا ذا جالسٌ بين أخي الجبل وأختي البحر ،
ونحن الثلاثة واحدٌ في عزلتنا ،
تربطنا محبةٌ عميقةٌ قويةٌ غريبةٌ

وَرَيْقَةُ عَشْبٍ وَوَرَقَةُ خَرِيفٍ

قالت وريقة عشب لورقة خريف ، « انك
تحدثين بسقوطك جلبةً فتبعثرين احلام شتائي »
فاجابتها الورقة مغتاضةً ، « أيتها الدنيئة
أصلاً وفصلاً ، الفظة المقودة اللسان . من اين
لك الاحلام وانت ملتصقة بقذارات الغبراء
بعيدة عن موسيقى الفضاء لا تُمَيِّزِينَ بين الغناء
والمؤاء ؟ »

قالت ورقة الخريف ذلك وهبطت على
الأرض فنامت
وعندما جاء الربيع أفاقت من نومها فاذا
بها وريقة عشب

ثم أقبل الخريف ووافتها هجمة الشتاء فنثر
الهواء حوالها أوراق الأشجار الذابلة فتمللت
في ذاتها قائلة ، « أف من أوراق الخريف
الثقيلة . انها تحدثُ بسقوطها جَلْبَةً وضجيجاً
فتبَعُر أحلام شتائي ،

العين

قالت العين يومًا ارفيقاتها الحواس ، « انني
أرى وراء هذه الاودية جبلاً مبرقماً بالغيوم فما
أجمله جبلاً ! »

فاصغت الأذن هنيهة لحديثها ثم قالت لها ،
« أين ذلك الجبل الذي تنظرين ؟ انني لا اسمع
صوته »

ثم قالت اليد ، « أما انا فعبثاً احاول ان
أشعر به او ألمسه . فليس هنالك جبل البتة »
وقال لها الانف ، « انني لا أستطيع ان
أفهم كيف يوجد الجبل وانا لا اقدر ان
أشبهه . ألا ان وجوده لمستحيل »

فتحولت العين الى جهة أخرى ضاحكةً في
ذاتها . اما الحواس الاخرى فمعدن مجلساً بحثن
فيه عما دعا العين الى مثل هذا الضلال وبعد البحث
الدقيق قررن باجماع الآراء « ان العين قد
خرجت ولا شك عن صوابها »

العالمان

كان في مدينة أفكار القديمة عالمان . وكان
كلٌّ منهما يمتدُّ معرفة الآخر ويحتقرها . وكان
الاول كافراً والثاني مؤمناً

وحدث انهما اجتمعا مرة في ساحة المدينة
وظفقا يتجادلان ويتحاجان امام انصارهما في
وجود الآلهة او عدم وجودها . وبعد ان حمى
وطيس الجدال بينهما بضع ساعات مضى كلٌّ
منهما في سبيله

وفي ذلك المساء بعينه ذهب الكافر الى
الهيكل وجثا على ركبتيه امام المذبح مستغفراً

الآلهة عن جموع ماضيه وصار مؤمناً
وفي الساعة نفسها أخذ المؤمن كتبه المقدسة
فخرقها في ساحة المدينة وصار زنديقاً كافراً

عند ما ولدت كآبتي

عندما وُلِدَتْ كآبتي أَرْضَعْتُهَا حَلِيبَ الْعِنَايَةِ
وَسَهَّرْتُ عَلَيْهَا بَعِينَ الْحُبِّ وَالْحَنَانِ
فَنَمَتْ كآبتي كَمَا يَنْمُو كُلُّ حَيٍّ - قَوِيَّةً جَمِيلَةً
تَفِيضُ يَهْجَةً وَأَشْرَاقًا
فَأَحْبَبْتُ كآبتي وَأَحْبَبْتَنِي كآبتي . وَأَحْبَبْنَا مَعًا
الْعَالَمَ الْمَحِيطَ بِنَا ؛ لِأَنَّ كآبتي كَانَتْ رَقِيقَةً الْقَلْبِ
عَطُوفَةً فَصَيَّرْتُ قَلْبِي رَقِيقًا عَطُوفًا
وَعِنْدَمَا كُنَّا نَتَحَادَثُ مَعًا ، أَنَا وَكآبتي ،
كُنَّا نَتَّخِذُ الْأَحْلَامَ أَجْنَحَةً لِأَيَامِنَا وَمَنَاطِقَ
لِلْيَايِنَا . لِأَنَّ كآبتي كَانَتْ فَصِيحَةً طَلِيقَةً اللِّسَانِ
فَصَيَّرْتُ لِسَانِي فَصِيحًا طَلِقًا

وعندما كنا نغني معاً ، أنا وكآبتي ، كان
جيرانا يجلسون الى نوافذهم مُصغين الى غنائنا ،
لان غناءنا كان عميقاً كاعماق البحر وغريباً
كفرائب الذكرى

وعندما كنا نمشي ، أنا وكآبتي ، كان
الناس يرنونَ الينا بعيونٍ تشعُ حباً واعجاباً
متحدثين بنا بأرق الالفاظ وأحلاها ؛ غير أن
بعضاً منهم كانوا ينظرون الينا بعيون الحسد لان
الكآبة كانت منقبة محمودة وأنا كنتُ متباهياً
نخوراً بالكآبة

ثم ماتت كآبتي كما يموت كل حيّ وبقيتُ
أنا وحدي مفكراً متأملاً

وها أنا ذا أتكلم الآن فتسنتقل أذناي
صوتي وأنشدُ فلا يصني أحدهُ من جيراني

لأنشادي وأطوف في الشوارع فلا يعبأ أحدٌ بي ؛
غير انني أتعزّي إذ أسمعُ في منامي أصواتاً تقول
متحسرة ، « انظروا ! انظروا ! فهنا يرقدُ الرجل
الذي ماتت كآبته »

وعندما ولدت مسرتي

وعندما وُلِدَتْ مسرَّتِي حملتها على ذراعيَّ
وصعدتُ بها الى سطح بيتي أنادي قائلاً ،
« تعالوا يا جيرانى ومعارفى ، تعالوا وانظروا !
فقد وُلِدَتْ مسرَّتِي اليوم تعالوا وانظروا فيض
مسرَّتِي الضاحكة أمام الشمس »

وَشَدَّ ما كان دهشي لانه لم يأتِ أحدٌ
من جيرانى ليرى مسرَّتِي

وظللت سبعة أشهر أُعلن مسرَّتِي للناس
بكثرة وأصيلا من على سطح بيتى ولكن لم يُصغ
أحدٌ قطُّ لصوتي . فبقيتُ ومسرَّتِي وحيدَيْن
مُهلَيْن لا يعبأ أحدٌ بنا

وما مرَّ علي ذلك سنةً حتى سَدِمَتْ سرّتي
حياتها فامتقع لونُها واعتَلَّتْ اذُنُ لم ينبُضْ بجبها
قلبٌ سوى قلبي ، ولم يقبَلْ فيها سوى في
فقَضَتْ سرّتي في وحشتها وأَسَيْتُ
لا أذكرها الا عندما اذكرُ كآبتي
وما الذكري سوى ورقة خريف لا ترامش
في الهواء هنيهة حتى تكفَنَ بالتراب دهرًا

العالم الكامل

يا اله النفوس الضائعة أيها الضائع بين الالهة
استمعني : ايها القدرُ الرحيمُ الساهرُ على نفوسنا
التائهة المجنونة أصغ اليَّ : فاني وانا ناقصٌ اعيش
بين الكاملين من البشر . أنا ، أنا البشرية
المشوشة ، السديمُ المضطربُ العناصرُ اتخطرُ
بين عوالم تامّة من شعوب قد كملت شرائعهم
وتنزهت نظمهم وتنسقت افكارهم وترتبت
أحلامهم وتسجلت رؤايم في الأسفار والدواوين
ربّاه ! ان هؤلاء الناس يقيسون فضائلهم
بالمقاييس ويزنون خطاياهم بالموازين ولديهم سجلات
وفهارس لما لا يُحصى من التوافه والنقائص التي

ليست بالخطايا فتُعرف ولا بالفضائل فتُنصف

ويتقسمون أيامهم ولياليهم الى أقسام مقنَّنة
مرتبة فيفعلون كل شيء في حينه على وفق ما يُخطر
لهم . فالأكل والشربُ والنومُ وكساء العُرْيَةِ ثم
السامة والضجرُ - كلٌّ في حينه

والعملُ واللعبُ والغناءُ والرقصُ ثم الاستراحة
عندما تحينُ ساعتها

الافتكار بهذا والشعور بذلك ثم العدول
عن الافتكار والشعور عندما يشرق نجم الأمل
السعيد فوق الأفق البعيد

سلبُ الجارِ بشغري باسم ومنح العطايا بيد
تتوقع الثناء والشكر ، ثم المديحُ بفظنة والملامة
بتروٍ وقتل النفس بكلمة واحراق الجسد بقبلة

وغسل اليدين عند المساء كأن لم يكن هنالك
من شيء

المحبةُ بتقليد مطروق والتسليّةُ على منوال
مسبوق وعبادة الآلهة كما يحقُّ ويليق والاحتيال
على الشياطين والمكر بالزنديق - ثم نسيانُ كل
ما جرى وصار كأنّ الذاكرة حلم من احلام
الانحرار

التصوُّر لغاية والتأمل بعناية والمسرة بدراية
والتألم بوقاية ثم افراغ كأس الآمال رجاء ان تعلمها
الايام في المآل

رباه ، رباه ! ان جميع هذه يسبقُ الفكر
فيجبلُ بها والعزيمةُ فتلدها والدقة فتربها والنظام
فيسودها والعقل فيديرها - ثم تُنحرُ وتُلحدُ في
زوايا سكينه النفوس فتبقى قبورها الموسومة

بالعلامات والارقام عظة لنا وجميع الانام
أجل ، هذا هو العالم الكامل الذي قد
بلغ أوجهه ، عالم الغرائب والمعجزات - بل
هو انضج ثمرة في جنان الله وأسمى عالم بين
عوالمه . ولكن لِمَ أنا ههنا يارب ؟ لِمَ أنا ههنا
وانا ثمرةٌ عجباء لم تنل بعد شهوتها من النماء
وعاصفة صماء هوجاء لاشرقاً تبتغي ولا غرباً ،
وذرة هائمة تائهة من كوكب محترق ثائر ؟
لِمَ أنا ههنا ؟ لِمَ أنا ههنا ؟ يا اله النفوس
الضائعة ايها الضائع بين الآلهة ؟

